يفارقها وكانت جوائز أمية تأتيه من الشام وكانت قريش كلها تبره للسانه وتقربا إلى بني أمية ببره قال فصلى البعيث مع الناس وسأل في حمالة كانت عليه وكان سؤولا ملحا شديد الطمع وكان الرجل من قريش يأتيه بالشيء يتحمله عنه فيقول لا أقبله إلا أن تجيء معي إلى الصراف حتى ينقده ويزنه فإن لم يفعل ذمه وهجاه فشكوه إلى أبي العباس الأعمى فقال قودوني إليه ففعلوا فلما عرف مجلسه رفع عصاه فضرب بها رأسه ثم قال له .

(فهلْ أنتَ إلا مُلْصَقٌ في مُجاشِعٍ ... نَفاكَ جريرٌ فاضْطُرِرْتَ إلى نَجْدِ) .

(نفاك جرير بالهجاء إلى نجد ...) .

ويروى .

(تظلّ ُ إذا أُعطيتَ شيئاً سأَلتَه ... تطالبُ من أعطاك بالوزن والنقدِ) .

(فلا تطْمَعَنْ من بعدِ ذا في عطيّةٍ ... وثِقْ بقبيح المنعِ والدفعِ والردّ ِ) .

(فلستَ بمُبْقٍ في قريشٍ خِزاية ... تُذَم ولو أبْعَدْت فيه مَدَى الجَهْدِ) .

قال فتضاحك به من حضر واستحيا ولم يحر جوابا فلما جن الليل عليه هرب من مكة .

وقال قعنب بن المحرز حدثني المدائني قال .

قال عبد الملك بن مروان لأبي العباس الأعمى مولى بني الديل أنشدني مديحك مصعبا فاستعفاه فقال يا أمير المؤمنين إنما رثيته بذلك لأنه كان صديقي وقد علمت أن هواي أموي قال صدقت ولكن أنشدني ما قلته فأنشده